



"ما انحرِمَش مُنْكَ" لهجة مصرية. "ما بنحرم منك" لهجات عربية متعددة. "ما بحترمك" لهجة شامية. هي ثلاث صيغ لنفس المعنى، إلا أن اللهجة الشامية تثير اللبس والخلط ما بين الحرمان والاحترام، غير أن سياقات الكلام تمدُّ لنا دائماً حبل النجاة.

* * *

في بعض اللهجات يقال "من هالجال، ومن الجال المقابل"، أي من هذا الجانب، ومن الجانب المقابل. الكلمة فصيحة، والفعل هو جال يجول، أي طاف يطوف أو تحرَّكَ يتحرَّك في جنباتها أو جوانبها، ومن هنا كان اشتقاق "حظر التجوال"، أي منع الذهاب في أي اتجاه أو إلى أي جانب. إن تتبَّعي للعديد من الكلمات العامية واكتشافي أنها فصيحة، جعلني أدرك أهمية العامية وقدرتها على إنقاذ مئات بل آلاف المفردات من الموت والاندثار ومن هجر المثقفين لها طناً منهم أنها عامية.

* * *

سألني إن كانت لفظة شمعدان، أي حامل الشموع، بفتح العين أم بكسرها أم بضمها.

أجبت أنه كلها سالكة. حمَدَ الرجل ربه على نعمة العربية وغناها. قلت: الكلمة غير عربية، ولهذا نطقها أجدادنا بفتح العين وضمِّها وكسرها. وإذا افترضنا أن "الشمع" لفظة عربية، فلفظة "دان" في آخرها ليست عربية. "دان" بالفارسية مثلاً، تعني الوعاء أو المكان.

ولكن من رجابات وفضائل العربية أنها مطواعة لو طاوعناها.

* * *

إيشا رجل آشوري سوري، لجأ إلى السويد أواسط تسعينيات القرن العشرين، وبعد قرابة ثلاث سنوات رفضت السويد منحه اللجوء وأعادته إلى سوريا، لينتهي به المطاف عندنا في سجن صيدنايا العسكري.



ومن رحابات وفضائل العربية أنها مطواعة لو طاوعناها

عينا إيشا تشعان ذكاء، وسلوكه يقطر لطفاً ودفئاً ومحبة.

كنا نستمع بغنائهم وسرعة بدهته في اقتناص النكتة والمفارقة.

أنا وإيشا زيت على زيتون كما يقال. لم نختلف طوال حبستنا سوى حين نفى وجود أي جذور أو تقاطعات، بين العربية والآشورية.

طلبْتُ منه أن يملي عليّ كلمات إحدى الأغاني الآشورية، فأملَى الأغنية التي يندر أن تمر ليلة بدون أن يغنيها ويطلق العنان لحزنه: "يا ظالم دورا كُما ظلمُحْ أَللي".

قلت: إذا استطعتُ أن أشرح لك معانيها، فهل ستعترف على رؤوس الأشهاد بأن هناك "علاقات وتواطؤات مشبوهة" بين العربية والآشورية؟

وافق إيشا، فبدأتُ الشرح:

يقول الشطر الأول "يا ظالم" وهي نفسها بالعربية.

قال: صحيح.

قلت: "يا ظالم دورا" تتعلق بالحديث عن الدورة الزمنية، والقصد هنا "ظالم يا زمن يا دَوَّار".

قال: ما زلت في دائرة المعنى.. أكمل.

قلت: "كُما ظَلْمُحْ" يقابلها في العربية "كَمْ ظلمت"، و "أَللي" يقابلها "إِلَيَّ أو لي"، وهكذا يكون المعنى "أيها الزمن الظالم كم ظلمتني".

قال إيشا بطريقته الساخرة: يا شباب.. أنا قليل ذمة ومدان ومسلَّم بما يقوله لغويكم، بل إني مقتنع بنسبة تسعة وتسعين في المئة وكسور، ولا علاقة لهذه النسبة، لا من قريب ولا من بعيد، بتلك النسبة التي يفوز بها طغاتهم في



ومن رحابات وفنائل العربية أنها مطواعة لو طاوعناها

جميع الانتخابات التي تأخذ شكل الاستفتاءات.

* * *

هو لا يرتاح لأفكاري وقناعاتي، ولهذا بدا لي ممتعضاً ومضطرباً وهو يسألني إن كانت لفظة شمعدان، أي حامل الشموع، بفتح العين أم بكسرها أم بضمها، فأجبت أنه كلها سالكة.

حمّد الرجل ربه على نعمة العربية ورحابتها. قلت: الكلمة غير عربية، ولهذا نطقها العرب مكسورة ومضمومة ومفتوحة العين. وإذا افترضنا أن "الشمع" لفظة عربية، فلفظة "دان" في آخرها ليست عربية. "دان" بالفارسية مثلاً، تعني الوعاء أو المكان.

بقيت عيناه جاحظتان إلى أن سمعني أقول:

ومن رحابات وفنائل العربية أنها مطواعة لو طاوعناها.

* * *

السَّبَّابة هي الإصبع التي تلي الإبهام. هكذا سمّاها أجدادنا لأنها كانت تُستخدم غالباً أثناء السبِّ والمخاصمة والتهديد. حاول بعض الفقهاء

تسميتها "المُسَبَّحة"، أي التي تقوم بفعل التسبيح، غير أن الحياة والواقع والوقائع طلّت متمترسة وراء السَّبَّابة.

بالمناسبة أكثر اللغات الأوروبية تسميها "المشيّرة" أي الإصبع التي تشير.

* * *

يقال "أثار حفيظته". الحفيظة هي الحميّة والغضب. ويُخِيلُ إلَيَّ أن الحمية والغضب يكونان محفوظين في المحفظة العميقة من النفس، بل في جيبيها الأعرق الذي اسمه الحفيظة. إنهما هاجعان في النفس هناك إلى أن يحدث ما



ومن رحابات وفضائل العربية أنها مطواعة لو طاوعناها

يثيرهما وبخرجهما من ذلك الجيب إلى السطح، أي يخرجهما من المحفوظ والمكنون إلى المعلن.

* * *

العجوز كلمة مؤنثة حصراً، وتعني المرأة المُسيَّنة. لم ترد بالذكور أبداً لا في القرآن ولا في أشعار العرب القدماء، وبالتالي فإن قولنا "رجل عجوز" هو استخدام حديث يقابله في الفصحى "شيخ" وفي العامية ختار. من يقبل تحديث سيارته وكومبيوتره وموبايله وخبراته، فمن تحصيل الحاصل أن يقبل تحديث اللغة.

* * *

من يعتقد أن التنورة مؤنث التنور أكثر سذاجة ممن يعتقد أن الثورة مؤنث الثور، وأن الجامعة مؤنث الجامع، وأن الأناة مؤنث الأنا، وأن الوداعة مؤنث الوداع، وأن السريرة مؤنث السرير.

يا أخي لفظة التنورة أصلاً غير عربية، وكذلك لفظة التنور غير عربية. صحيح أنها وردت في القرآن مرتين، لكن اختلف المفسرون في معناها.

حياة العرب لم تعرف التنور إلا لاحقاً. كان خبزهم على الوطيس، أو على الصاج كما هو الحال حتى الآن لدى بعض سكان البوادي.

الكاتب: **فرج بيرقدار**